كلمة د. سابا قيصر زريق
في الندوة حول بحثه المعنون
"الانتماء الى طرابلس: إرتقاءٌ ثقافي"
المنظمة من قبل الإتحاد العربي للمرأة المتخصصة
بالتعاون مع
الجامعة الأميركية للتكنولوجيا والمجلس الثقافي في بلاد جبيل
المقامة في الجامعة الأميركية للتكنولوجيا
١٨ أيلول ٢٠٢٦

أخواتي وإخواني،

أن تتكلَّمَ عن شُعورٍ هو وليدُ انتماءٍ إلى مكانٍ وأنتَ في رِحابِ ديارٍ شاخَتْ في عمقِ تاريخِ البشريةِ جَمعاء، لَهو أمرٌ مُريحٌ كفيلٌ أن يُبعِدَ عنكَ هاجِسَ المُحاباةِ والإنحياز، إذ أن سُكّانَها ذاقوا ويذوقُونَ كلَّ يومٍ طَعمَ الحضارةِ والعَراقة.

مُنذُ سَنواتٍ سبعْ لَبَّيْتُ طَلَبَ الجامعةِ اليسوعية الإسهامَ في بَحثٍ باللغةِ الفرنسيةِ حولَ مدينتي، طرابُلس، ضِمن سِلسِلةِ أبحاثٍ نُشِرَتْ في عددٍ خاص أصدرَتْهُ مجلة "Travaux et Jours" عن المدينة. أتاحَتْ لي تلك المناسبةُ أن أَخرُجَ من جَهالةٍ عُمرُها عُقود، أنا المُتَيَّمُ بمدينتي الذي كنتُ أعتقدُ أني أعرِفُها معرِفةً وافية. إنصرفْتُ إلى أبحاثٍ في عَشَراتِ المؤلَّفاتِ أَستَقي منها ما سَبَقَني إليه مؤلِّفونَ حول نَواحٍ عديدةٍ من تاريخها ورِجالاتِها. توصَّلْتُ إلى قناعةٍ أن لانتمائي إليها سببٌ خَفِيٌّ، ظاهِرُهُ وَشَلٌ من مُحيطاتٍ باطِنة، لم يَعُدْ من الإنصافِ أن أعزُوَها إلى العاطفةِ العمياءِ فحسب، لأن طرابُلس هي مدينةُ كلِّ شيءٍ جَميلٍ ومُمَيَّز.

يتناولُ بحثي مفهومَ الإنتماءِ إلى الفيحاء، محاولاً تفسيرَ العلاقةِ العميقةِ التي تربِطُ أبناءَ المدينةِ بها، إنطلاقاً من تُراثِها الثقافي الغَنيّ وُصولاً إلى ما أطلقْتُ عليه تسميةَ "التراثِ العاطِفي"، الذي جعلَ من طرابُلس جزءًا من هُويةِ أبنائِها وذاكرتِهِم ووُجدانِهم.

الفصل الأول - تراث طرابُلس الثقافي

أولاً: طرابُلس مدينةُ التاريخِ والثقافاتِ المتعدّدة

يمتدُّ تاريخُ طرابُلس لأكثرِ من سبعةٍ وعشرينَ قرناً؛ كانتْ خلالُهم مُلتقىً لثقافاتٍ وحضاراتٍ مُتعدّدة. فمنذُ نشأَتِها الفينيقية، تَعاقَبَ عليها الفُرْسُ والإغريقُ والرومان، ومن ثم اكتسبَتْ هُويتَها العربية، قبل أن تُصبحَ في العهدِ الصَّليبي "مقاطعةَ – دولةٍ مشرقية". إستعادَها المَماليكُ سنة ١٢٨٩، ثم انتقلَتْ إلى الحُكمِ العُثماني الذي استمرَّ حتى نهايةِ الحربِ العالميةِ الأولى.

ولم يكُنْ مُرورُ هذه الحضاراتِ مجرَّدَ تعاقُبٍ سياسيٍ على المدينة، بل كان لكلٍّ منها أثرٌ في تكوينِها الحَضاري والمِعماري والثقافي. وقد استطاعَتْ طرابُلس، على امتدادِ تاريخِها، أن تستوعِبَ إسهاماتِ الشعوبِ المختلفةِ التي مرَّتْ بها، وأن تُحوّلَ هذا التنوُّعَ إلى ثروةٍ ثقافيةٍ مُتراكِمة. ولذلك بَدَتِ المدينةُ وكأنَّها "إسفنجةٌ"، تمتصُّ ما يَمرُّ بها من مؤثِّرات، فَتعيدُ قَوْلَبَتَها في وِعائها الخاص.

نَحيا، نتبَعُ، ننتَمي، نتَكاثر، نموتُ ونترُكُ وَراءَنا ذُرّيَتَنا. هذه الذُّرّيَةُ هي التي تُكَمِّلُ وتُخَلِّدُ وتُكَوِّنُ ثقافتَنا من خِلالِ آلِيةِ انتقالِ القِيَمِ والمَعاييرِ المُعْتمَدة والتَّمَسُّكِ بالمَبادِىءِ المُجتَمعِيَّةِ التَّوجيهِيَّة.

أوليستِ الثقافةُ مجموعةَ عاداتٍ وأَعرافٍ واستِعراضاتٍ فَنّيةٍ ودينيّةٍ وفِكريّةٍ وقَناعاتٍ مُشتَرَكة وَوُجُهاتِ نَظَرٍ وطُرُقِ تَقييمِ الأمورِ؟

ولا يمكنُ فَهمَ الثقافةِ الطرابُلسية بمَعزلٍ عن موقِعِ المدينةِ ودَورِها الإقتصادي. فقد ساهمَ كونُها مدينةً مينائيةً ومركزاً تجارياً مُهماً، إلى جانبِ غِنى مِنطقتِها الزراعي وتنوُّعِ مُنتجاتِها، في ازدهارِ الحركةِ الاقتصاديةِ والصِّناعية فيها، وكان لهذا الازدهار أثرٌ مباشَرٌ في التعليمِ والثقافة. وبلغَتِ الحياةُ العِلميةُ والفِكريةُ في المدينة ذُروتَها، خصوصاً بين القرنِ العاشر والقرن الثاني عشر، بعدما تطوَّرَتِ الدِّراساتُ لتشمُلَ الدّينَ واللغةَ والأدبَ والشعرَ والتاريخَ والهندسةَ والفلكَ والطُّبَّ وغيرَها من ميادينِ المعرفةِ.

ثانيا: مكوّناتُ التراثِ الثقافي الطرابُلسي

يتكوَّنُ التراثُ الثقافي لطرابُلس من عناصرَ مترابطةٍ ومتداخِلةٍ هي بمثابةِ أدواتٍ لحِفظِ الذاكرةِ الطرابُلسية والتعبيرِ عن خُصوصيّةِ المدينة.

١. **الثروةُ اللغوية**

تَحتلُّ اللغةُ مكانةً أساسيةً في الهُويةِ الثقافية. عزَّزَتِ اللغةُ العربيةُ ارتباطَ طرابُلس بالعالَمِ العربي. وفي الوقتِ نفسهِ، أتاحَ انفتاحُ المدينةِ على التُّجارِ والزائرينَ من مُختلَفِ البُلدانِ لسكّانِها اكتسابَ لُغاتٍ أخرى، ولا سيما الفرنسية، في مرحلةٍ مُبكِرة، تَلَتْها الإنكليزيةُ في مراحلَ لاحقة.

٢. **الثروةُ الأدبية**

يَظهرُ غِنى طرابُلس الأدبي في نِتاجِ شعرائِها وناثِريها وصِحافيّيها.

- فقد مثَّلَ **الشُّعراءُ** الطرابُلسيون مدينتَهم في أعمالٍ ذاتِ قيمةٍ أدبيةٍ رفيعة. كما أصبحَتْ قصائِدُهم في كثيرٍ من الأحيانِ وثائِقَ تعكِسُ الظروفَ الإجتماعيةَ والسياسيةَ التي عاشَتْها المدينة. ولم يقتصِرِ الشِّعرُ على العربية، إذ برزَ أيضاً شعراءٌ طرابُلسيون باللغةِ الفرنسية، حقَّقَ بعضُهُم حُضوراً بارِزاً في العالَمِ الفَرَنْكوفوني.

- كما ازدهرَ **<u>النَّثرُ</u>**، ولا سيما منذ منتصَفِ القرنِ التاسِع عشر، تنوعَّتْ مَجالاتُهُ بين الرِوايةِ والبَحثِ والفلسفةِ والنَّقدِ والسيرةِ والتاريخِ والسياسةِ والاجتماعِ والعلومِ الإنسانيةِ وغيرِها. وبعدَ الحربِ العالميةِ الثانية، ازدادَ عددُ المؤلِّفين بالعربية كما بالفرنسية.

- أما **<u>الصّحافةُ</u>**، فقد لعِبَتْ دَوراً مُهِماً في نشرِ الثقافةِ وتَوثيقِ الحياةِ المحَلّية. صدَرَتْ أولُ جريدةٍ طرابُلسية، "طرابُلس الشام"، سنة ١٨٩٣؛ ثم تتابَعَ ظهورُ عددٍ كبيرٍ من الصّحفِ والمجّلات، إلى جانبِ منشوراتِ الجمعياتِ والأنديةِ والنِقّابات. وأسهمَ انتشارُ المطابعِ في تعزيزِ هذه الحركة، ولا سيّما بعد تأسيسِ مطبعةِ "البَلاغة" سنة ١٨٨٩.

٣. **<u>الثروةُ الفنية</u>**

عرَفَتْ طرابُلس نشاطاً فنياً واسِعاً شمَلَ الفنونَ التشكيلية والموسيقى والمسرحَ والسينما والخطّ والكاريكاتور.

- في مجالِ **<u>الفنِ التشكيلي</u>**، برزَ عددٌ من الفَنانين منذُ بداياتِ القرنِ العشرين، ثم أسّسَ فَنانون بارزون سنة ١٩٧٤ "مجموعة العشرة"، تَلَتْها سنة ٢٠٠٤ جمعية "بوزار للثقافة والتطور.

- وفي **الغناء والموسيقى**، برزَ في مُنتصفِ القرنِ العشرين، عددٌ من المُطربينَ والموسيقيين الطرابُلسيين، من بينِهِم سهام الأفيوني، المعروفة بإسمِها الفني "سهام رِفقي"، وأخوها غير الشقيق، أحمد سالم، اللذَين هاجرا إلى مِصر حيث برعا في آدائهما. كما اشتهرَتْ عائلاتٌ فنيةٌ طرابُلسية مثل عائلتَي بندلي وطُنْب. وفي المدينةِ ظهرَ ملحِّنون وموسيقيون حقَّقا نجاحاتٍ لافتة في لبنان والعالم، أذكرُ منهم على سبيلِ المثالِ ليس ألا، عبد الحق المصري وهتاف خوري وغيرَهما. وتؤكِّدُ هذه التجارب أن الموهَبةَ الطرابُلسية لم تَبْقَ محصورةً في المدينة، بل تمكَّنَتْ من وُلوجِ الساحتَينِ العربية والدُّولية.

- **أما المسرحُ**، فقد سبقَ ظهورَهُ الحديث تقليدُ الحكواتي الذي كان يروي القِصَصَ الشعبيةَ في المقاهي. ودخلَ المسرحُ إلى طرابُلس في القرنِ التاسع عشر. وكان لمسرحِ "الإنجا" دورٌ أساس في تحريكِ الحياةِ المسرحية في طرابُلس. كما برز نزار ميقاتي في أعماله المسرحية، وحقَّقَ صلاح تيزاني، المعروف بـ "أبو سليم"، نجاحاً واسعاً من خلال المسرحِ الكوميدي ذاتِ الطابعِ المَحَلّي.

- وفي **السينما**، برزَ المخرج جورج نصر بوصفِهِ رائداً في السينما اللبنانية؛ كما حقَّقَتِ المخرجة رندا شهال حُضوراً عالَمياً. فيما تخصَّصَ المخرج حسام خياط في إنتاجِ أفلامٍ وتقاريرَ عن المدينة. ويُشيرُ البحثُ إلى أن تراجُعَ عددِ صالاتِ السينما العاملة في طرابُلس،

إلى حَدِّ انقراضِها (صالة واحدة تعمل حالياً)، يشكِّلُ خَسارةً لأحدِ مظاهِرِ الحياةِ الثقافية، بعدما كان عدَدُها قد تجاوزَ الثلاثين سنة ١٩٧٠.

- وكذلك، عرَفَتْ طرابُلس فنَّ **الخَطِّ والكاريكاتور**.
- وكان **الخطُّ** جزءًا من الفنونِ التقليديةِ التي استُخدِمَتْ على الخَشَبِ والخَزَفِ والرُّخامِ والمعادنِ والقماشِ والورق؛
- فيما تحوَّلَ **الكاريكاتور** إلى وسيلةٍ للتعبيرِ عن النقدِ الإجتماعي والسياسي.

٤. الثروة المِعمارية

تعكِسُ عَمارةُ طرابُلس تاريخَ حِقباتِها المتعاقِبة. فقد تركَ الصَّليبيونَ قلعةَ طرابُلس الشهيرة وغيرَها من المُنشآتِ الدِّفاعية. كما تركَ المَماليكُ إرثاً مِعمارياً واسعاً، يُعَدُّ من أبرزِ سِماتِ المدينة، يتمَّثلُ في المساجِدِ والمآذِنِ والقِبابِ والأقبيةِ والحِجارةِ المنحوتةِ والزَّخارِفِ والخَطِّ العربي، جاعِلاً منها ثاني أهم مدينةٍ مملوكيةٍ من حيثُ الأثرِ المِعماري بعد القاهرة. أما العثمانيون، فتركوا بدَورِهِم عدداً من المساجدِ والبيوتِ والأسواقِ والخاناتِ والحَمَّامات، بالإضافة إلى ساعةِ التَّلِ الشهيرة. وهكذا تحوَّلَتِ العِمارةُ إلى سِجلٍّ حَيٍّ لتاريخِ المدينةِ وتفاعُلِ الحضاراتِ التي مرَّتْ بها.

٥. **الثروةُ الدينية**

تميَّزَتْ طرابُلس بتعدُّدُ طوائِفِها الدينية وتعايُشِها. فقد عاشَتْ فيها طوائفُ إسلاميةٌ ومسيحيةٌ وأسهَمَ هذا التنوُّعُ في تبادُلٍ ثقافيٍ وفِكريٍ مُهِم. كما كان للتربيةِ التي وفَّرَتْها الإرساليات الدينيةُ الأجنبية، إلى جانبِ المؤسساتِ العِلمانية، أثرٌ في الحياةِ التعليميةِ والثقافية.

ولم يقتصِرِ النِتاجُ الفِكري الديني والثقافي على العلماءِ المسلمين، بل شاركَ فيه أيضاً طرابُلسيون من غيرِ المسلمين؛ وإن بقِيَ قِسمٌ من مؤلَّفاتِهم مخطوطاً، لم يُنشَرْ منهُ إلا القليل. ويؤكِّدُ هذا التعُّددُ أن الثقافةَ الطرابُلسية هي فعلاً نتاجُ تفاعُلٍ بين جماعاتٍ دينيةٍ مختلفة.

٦. **الثروةُ الحِرَفية**

تظهرُ الحِرَفُ التقليديةُ بصورةٍ واضحة في أسواقِ طرابُلس القديمة، حيث حافظَ الحِرَفيون على مِهَنٍ وَرِثوها عن آبائِهم وأجدادِهم. ويبرُزُ خصوصاً العملُ بالنُّحاسِ والخشبِ وتحويلِهما إلى أدواتٍ وتُحَفٍ وأثاث، إضافةً إلى صناعةِ الصابون ذات الباعِ الطويلِ في المدينة. وتُمثِّلُ هذه الحِرَف إمتداداً عَمَلياً للتراثِ الثقافي، وهي تنقُلُ المعرفةَ والخِبرةَ من جيلٍ إلى جيل.

ثالثاً: وسائلُ نشرِ الثقافة

لا يكفي وجودُ الثقافةِ لكي تستمر، فهي تحتاجُ إلى مؤسساتٍ ووسائلَ تنقُلُها من جيلٍ إلى آخَر. وقد تعَّدَدتْ في طرابُلس وسائلُ نشرِ الثقافة، وإزدادَتْ فاعلِيتُها مع تطوُّرِ وسائلِ الإتصالِ والتواصُل:

- كان **التعليمُ** في بدايتِهِ مرتبطاً بالمدارسِ القرآنيةِ التي احتضنَتْها المساجد، ثم تطوَّرَ مع المدارسِ المملوكيةِ والعُثمانية. وفي النِّصفِ الثاني من القرنِ التاسعِ عشر، شهِدَتْ طرابُلس نهضةً تعليميةً مع إنشاءِ المدارسِ الرسمية. ثم ظهرَتْ مدارسُ الإرسالياتِ الأجنبية، والمدارسُ الإسلاميةِ والخاصة. وفي العُقودِ الأخيرة، إلى الجامعةِ اللبنانية، تعاظمَ عددُ الجامعاتِ الخاصة وفروعِها في المدينة.

- وإلى جانبِ المؤسساتِ التعليمية، أصبحَتْ طرابُلس فضاءً غنياً **بالنشاطاتِ الثقافية**. فقد نشأَتْ جمعياتٌ **ومراكزُ ثقافية** عديدة، ومنها التابعة للسفاراتِ الأجنبيةِ في لبنان. وشملَتْ نشاطاتُها المحاضراتِ وندواتِ توقيعِ الكُتُب ووُرَش العَمَلِ والمسرحياتِ والمعارضِ الفنيةِ ومعارضِ الكُتُب. كما أدَّتِ المكتباتُ الخاصةُ والعامَّةُ وكذلك دُورُ النشرِ دَوراً في حِفظِ المعرفةِ ونشرِها وإتاحتِها للجمهورِ العريض.

الفصل الثاني: تراث طرابُلس العاطفي ومسألة الإنتماء

ينتقلُ البحثُ من الحديثِ عن التراثِ الثقافي، الماديّ الطبيعة، إلى مفهومٍ أكثر خصوصيةٍ هو ما أطلقْتُ عليه تسمية "التراث العاطفي". والمقصودُ به ذلك الجانبُ غيرُ الملموسِ من علاقةِ الإنسانِ بالمكان، والذي جسَّدَهُ طرابُلسيون في أدبِهِم وصلاتهم وفَنِّهِم. فالكاتبُ أو الفَنانُ يستطيعُ من خلالِ عَمَلِهِ التعبيرَ عن حبِّهِ للمكانِ وتعلُّقِهِ به بطريقةٍ قد يعجَزُ اللسانُ عن نقلِها.

أولاً: سِماتُ الإنتماء

الإنتماءُ الحقيقي، وَفْقَ البحث، لا يقومُ على مجرَّدِ العَيشِ في مكانٍ أو الإنتسابِ إليه في السجلاتِ الرسمية، بل يتطَّلبُ أن يُصبحَ المكانُ جِزءًا من الإنسان، وأن يسكُنَ شيئاً منهُ في داخِلِه. ومن هنا، يصبحُ الإنتماءُ شعوراً شخصياً يتجاوزُ الإنتماءَ الإداري أو القانوني، ويرتبطُ بالهُويةِ والقِيَمِ والذاكرةِ والتجربةِ الشّخصيةِ والجَماعية.

ثانياً: طبيعةُ الإنتماء إلى طرابُلس

يبدأُ الإنتماءُ بصورةٍ مفروضَة، بحُكمِ الوِلادةِ والأُسرةِ والبيئة؛ لكنه من الممكن أن يتحوّلَ مع نُضجِ الإنسانِ إلى اختيارٍ واعٍ آخَر. فبذلك يختلِفُ الإنتماءُ العاطِفي عن مجرَّدِ الإنتسابِ المَدَني،

لأن الأولَ لا يرتِّبُ على المنتمين حقوقاً، بل يعزّزُ شعورَهُ بالأمانِ والتضامُنِ والحياةِ المشترَكَة داخلَ الجَماعة.

ثالثاً: أعراضُ الإنتماء

أَجِدُ أَنَّ اسْتِخْدَامَ تَعْبِيرِ "أَعْرَاضٍ"، فِي سِيَاقِنَا هَذَا، يَتَنَاسَبُ جِدًّا مَعَ مَفْهُومِ الانْتِمَاءِ. أَوَلَيْسَ هَذَا الشُّعُورُ مَرَضِيًّا؟ يَظْهَرُ الانْتِمَاءُ إِلَى مَكَانٍ مَا مِنْ خِلَالِ خَمْسَةِ تَصَرُّفَاتٍ:

ويظهرُ الإنتماءُ إلى طرابُلس في عددٍ من السُّلوكيات. **أولُها**، عدمُ الرَّغبةِ في تَركِ المدينة؛ فقد اختارَ بعضُ الأدباءِ والفنانين والسينمائيين البقاءَ فيها رغمَ الفُرصِ التي كان يمكنُ أن يحصَلوا عليها خارجَها، بخاصة في ظلِّ ظروفٍ صعبة. و**ثانيها**، الترويجُ للمدينةِ وإظهارُ مَيّزاتِها أمامَ الآخرين، حتى من جانبَ الذين غادروها، إذ يستمرُّ ارتباطُهُم بها وحِرصُهُم على تحسينِ صورتِها. ومن الأمثلةِ على ذلك، مبادراتُ المحافظةِ على تراثِ طرابُلس التي أطلقَها طرابلسيون في بلادِ الانتشار. **وثالثاً**، الدفاعُ عن المدينةِ عندما تتعرّضُ لسلبيةٍ ما أو لظلمٍ إعلامي. فالمتثقفون الطرابُلسيون يشعُرون بأن الإساءةَ إلى مدينتِهِم تَمَسُّ كرامتَهُم الشخصية، يسعَوْنَ إلى مواجهةِ الصُّوَرِ النَّمطيةِ المُجحِفةِ بحقِها بإبرازِ تاريخِها وإنجازاتها. أما **رابعُ** مظاهرِ الإنتماءِ فهو الحنينُ إلى المدينةِ لمن اضطُرّوا إلى مغادرَتِها؛ يستعيدُ هؤلاء طفولتَهُم وشوارعَهُم وأصدقاءَهُم

وذِكرياتِهم. **وخامسُها** التضامنُ بين أبناءِ المدينة، إذ يتشاركونَ الآلامَ والأفراحَ والظروفَ والمصير، حتى عندما تكونُ أهواؤُهم مختلفةً أو متباينة.

رابعاً: التعبيرُ عن الإنتماء

يَّتخِذُ التعبيرُ عن الإنتماءِ أشكالاً لغويةً وأدبيةً وفنيةً متعدِدةً، يبقى الأدبُ أكثرَها انتشاراً.

- **فاللغةُ الفُصحى** تشكِّلُ عنصراً أساسياً في الإنتماءِ الثقافي، بينما تكشِفُ اللهجةُ المحليةُ المحكيةُ بصورةٍ خاصة عن الإنتماءِ إلى طرابُلس. ويُمكِنُ للَّهجةِ أن تصبحَ علامةَ تعريفٍ بالمدينة، بخاصة لدى أبنائها المنتشرين خارجَها.

- أما في **المجال الأدبي**، فالشعراءُ الطرابُلسيون جعلوا من مدينتِهم موضوعاً متكرِّراً في قصائِدهم، وعَبرَّوا عن أفراحِها وأحزانِها وإنتصاراتِها وآلامِها.

- **وفي النثر**، يظهرُ الإنتماءُ من خلالِ الكتابةِ عن الأحياءِ والشوارعِ والعاداتِ والتقاليدِ والمناظرِ والشخصياتِ التي ترتبطُ بالطفولةِ والمراهقةِ والذاكرة. وقد كرَّسَ عددٌ من المؤرِّخين والكُتّاب أعمالَهم لتوثيقِ الحياةِ الثقافيةِ والأدبيةِ في طرابُلس والشَّمال، حِفاظاً على الذاكرةِ من الضَّياع.

- وتؤدّي **الصّحافة** بدَورِها وظيفةً خاصة، لأنها تنقُلُ أخبارَ المدينةِ وأحداثَها اليومية، حتى تلك التي قد تبدو بسيطةً أو محليةً جداً، كالنجاحاتِ المدرسيةِ وأخبارِ الأعراس والمناسباتِ الإجتماعية الأخرى.

- أما **الفنونُ** على أنواعِها، فتُتيحُ التعبيرَ عن الإنتماءِ بطريقة غير مباشَرة.

- **ففي الموسيقى**، يمكنُ للمؤلِّفِ أن يحمِلَ مدينتَهُ معه من خلالِ أسلوبِهِ وأعمالِه، كما يظهرُ مثلاً في تجربةِ المايسترو باركيف تسلاكيان الذي أطلق على كورالِه إسم "كورال الفيحاء" (التي أصبحت "كورال الفيحاء الوطني")، مؤكِّداً إرتباطَهُ بطرابُلس.

- **وفي المسرح**، يظهرُ الإنتماءُ من خلال اختيارِ الشخصياتِ والموضوعاتِ واللغةِ واللهجةِ المَحلية؛ كما في مسرحِ أبو سليم الذي تميَّزَ بطابِعِهِ الطرابُلسي الواضح.

- **أما في السينما**، يتحوَّلُ المكانُ نفسُه إلى وسيلةٍ للتعبيرِ عن الإنتماء. على سبيلِ المثال، خصَّصَ المخرجُ حسام خياط عدداً من أفلامِهِ الوثائقيةِ لموضوعاتٍ طرابُلسية بحتة، فجعلَ المدينةَ وشخصياتِها وأماكِنَها جزءًا أساسياً من أعمالِه.

- **وفي الفن التشكيلي**، يستطيعُ الفنانُ أن يحفَظَ في لوحتِهِ صُوَرَ المدينةِ وذِكرياتِها، وأن يُعيدَ إنتاجَ الأماكِنِ والشوارعِ والمعالِم التي تشكِّلُ جزءًا من الذاكرةِ الجَماعية. وعلى سبيلِ المِثالِ كذلك، تجسّدُ أعمالَ "مجموعة العشرة" هذا النوعُ من الإنتماءِ بوضوح، إذ عاشَ أفرادُها ودرسوا في طرابُلس وألِفوا شوارعَها وأزقَّتَها ومعالِمَها، فجاءَتْ أعمالُهُم تعبيراً عن جُذورِهم الإجتماعية والثقافية. وتظهرُ في أعمالِ بعضِهم طرابُلس القديمةُ وهُويتُها الدينية والمِعمارية، بما يعكِسُ حَنيناً متجدّداً إلى المدينة.

- ويتوسَّعُ البحثُ ليشمُلَ **المطبخُ وحتى اللِّباس**.

- **فالمطبخُ الطرابُلسي**، بما فيه من أطباقٍ وحَلَويات، يمثلُ جِزءًا من التراثِ الذي انتشرَ خارجَ المدينةِ ووصلَ إلى مناطقَ مختلفةٍ من العالَم. وهنا تنضَمُّ حاسةُ الذّوقِ لتنقُلَ صورةَ المدينةِ وإشعاعَها الثقافي.

- أما **اللِّباسُ**، فقد عكسَ في مراحلِ تاريخيةٍ معينة الطابعَ الديني والإجتماعي السائد، وإن كان الإنتماءُ الذي يدُلُّ عليه أحياناً مرتبطاً بالدِّين أكثَر من إرتباطِهِ بالمدينةِ نفسِها.

الخاتمة

تشكِّلُ طرابُلس، كَغَيْرِهَا مِنْ الْمُدُنِ الَّتِي تتشارَكُ مَعَهَا شغفَها بِالْأَدَبِ وَالْفُنُونِ الْجميلة، مثلاً مُمتازاً وحَيّاً لِلْتَأْثِيرِ الأكيدِ للمُمارساتِ اليوميّة (اللُّغَة، نِظَام الْأكل، نمَط الْحَيَاة، الاجتماعيّات، الصَّلَاة، تشارك نِظَام القِيَم، الاحتفالات الشعبيّة، إلخ...). وللثقافةِ عَلَى الْأخلاقِ وَعَلَى تصرُّفِ وسُلوكِ أهلِها. لِذَلِكَ، يُمْكِنُنا القَولُ أَنَّ ذَلِكَ الحِسَّ العَذْبَ بالإنتماء، المُنطلِق مِنْ مِنَصَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ مَتينة، يُشَكِّلُ ارتقاءً وُصولاً إلى الوفاءِ والولاءِ، مُستحدِثاً تُراثاً مِنْ نَوْعٍ آخَر غَيْر ملموسٍ لَكِنَّهُ حَاضِرٌ جِدًّا .

أخواتي وإخواني،

بَعْدَ أن سَمِعْتُمْ أصداءَ هُيامي بمدينتي، ألا تُشاركونني شُعوري أنَّ "الإنتماءَ إلى طرابُلس" هُوَ فِعَلاً "إرتقاءٌ" ثَقَافِي؟ وأنَّ أبرزَ تراثاتِها هو التراثُ العاطفي؟

وختاماً،

شكراً للإتحاد الْعَرَبِي للمرأة الْمتخصّصة ولِلْجَامِعَةِ الْأميركية لِلْتِكْنُولُوجِيَا وللمجلسِ الثَّقافي في بلادِ جبيل عَلَى تَنْظِيمِهِم لهَذِهِ النّدوة. وأخُصُّ بالذكر الجَامِعَة الْأميركية لِلْتِكْنُولُوجِيَا عَلَى استضافةِ

ندوتِنا فِي هَذِهِ الْأُمسيَّةِ الْمُبارَكة. كما أشكُرُ الصديقة السيدة ناريمان الجمل غانم والدكتور مرسيل حنين على كلماتِهم الرقيقة والسيدة سامية مطر الزغندي على تكرُّمِها بإدارةِ وتقديمِ الندوة.

ولكم أيها الحضورُ الكريم جزيلَ الإمتنانِ على حُسنِ إصغائِكم.

وَالسَّلَام

* * *